المبحث الثاني

التناسب بين سورة البقرة وآل عمران

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين فاتحتي السورتين

ونجد التناسب بين سورة آل عمران لما قبلها سورة البقرة حيث يذكر الإمام المراغي في تفسيره وجه اتصالها بما قبلها من عدة أمور منها:

١- إنّ كلاًّ منهما بدأ بذكر الكتاب وحال الناس في الاهتداء به -فقد ذكر في الأولى من آمن به ومن لم يؤمن به والمذبذبين بين ذلك، وفي الثانية طائفة الزائغين، وطائفة الراسخين في العلم[1].

٢- إنّ في الأولى تذكيراً بخلق آدم، وفي الثانية تذكيراً بخلق عيسى.

٣- إنّ في كلّ منهما محاجة لأهل الكتاب، لكن في الأولى إسهاب في محاجة اليهود واختصار في محاجة النصارى، وفي الثانية العكس.

٤- إنّ في آخر كلّ منهما دعاء.

٥- إنّ الثانية ختمت بما يناسب بدء الأولى كأنها متممة لها، فبدأت الأولى بإثبات الفلاح للمتقين، وختمت هذه بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2].

---

(١) ينظر: تفسير المنار: ٣/١٥٣.

(٢) تفسير المراغي: ٣/٩٠-٩١.

المطلب الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتيم التي قبلها والتي تليها

ذكر بعض المحققين من أوجه التلازم بين السورتين أنّه قال في البقرة في صفة النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين وقال في آخر هذه ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

فيتبين لنا من خلال الكلام كأنّ السورتين بمنزلة سورة واحدة، ممّا يقوّي المناسبة والتلازم بينهما أنّ خاتمة هذه مناسبة لفاتحة تلك، لأنّ الأولى افتتحت بذكر المتقين، وأنّهم المفلحون وختمت هذه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لأنّه، لّما ذكر آخر البقرة أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ناسب أن يذكر نصره تعالى على الكافرين، حيث ناظرهم رسول الله، وردَّ عليهم بالبراهين الساطعة، والحجج القاطعة، فقصَّ تعالى أحوالهم، وردّ عليهم في اعتقادهم، ذكر تنزيهه تعالى عمّا يقولون، وبداءه خلق مريم وابنها المسيح إلى آخر ما ردّ عليهم، ولما كان مفتتح آية آخر البقرة آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، فكأن في ذلك الإيمان بالله وبالكتب، ناسب ذكر أوصاف الله تعالى، وذكر ما أنزل على رسوله، وذكر المنزل على غيره.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

والتناسب بين سورة آل عمران وما بعدها سورة النساء أنّ من أوّل وجوه التناسب بين السورتين الكريمتين، أنّ سورة آل عمران ختمت الأمر بالتقوى، في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1]، وافتتحت سورة النساء بالأمر بها، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾[2] وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وإنّ سورة آل عمران ذكرت فيها قصة مستوفاة، في حين ذكر في سورة النساء خاتمتها، وما نتج عنها، وهو قوله سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾، فإنّها نزلت لّما اختلف الصحابة ﷺ فيمن رجع من المنافقين في غزوة أحد.

ونجد إنّ الله ﷻ لّما خاطب في سورة آل عمران عيسى عليه السلام بقوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾[3]. وردّ في سورة النساء على من زعم قتله، فقال تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٧-١٥٨.

فقد تبيّن من هذا كلّه أنّ عيسى عليه السلام مصدق للتوراة في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل فثبت أن المراد بالآية ما قدمته من الإخبار بأنّ الله ربّ الكل والأمر بعبادته، «وهذا لما يأتي من أمر الله لنبيّنا محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]»[2].

ومنها أنّه سبحانه لمّا قال في سورة آل عمران في حق المتشابه من القرآن قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[3]. وقال في سورة النساء مفصلاً في صفة الراسخين في العلم فقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

ومنها أيضاً أنّه تعالى قال في سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[5]، وقد فصّل هذه الأشياء في سورة النساء على نسق ما وقعت في آية آل عمران حيث قال سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) نظم الدرر: ٤/٤١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

﴿خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1]، وكان متشابه الخلق هو المزين من متاعب الدنيا، ومحكم الخلق هو المحقق من دوام خلق الآخرة.

وافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنّه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكافتتاح سورة فاطر بـــ(الحمد) فإنّه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنّه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ كأنهم لّما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب وهذا يظهر ارتباط سورة البقرة بالفاتحة.

وكذلك ارتباط سورة (قريش) بسورة الفيل حتى قال الأخفش: «اتصالها بها من باب قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد؛ لأنَّ التسبيح مقدّم على التحميد يقال: سبحان الله والحمد لله[2].

افتتح ﷻ كتابه بسورة الفاتحة، لأنّها جمعت مقاصد القرآن؛ إلى آخر السورة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يدل على إثبات قضاء الله، وعلى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩.

(٢) ينظر: البرهان: ١/٣٨-٣٩.

النبوات، فقد اشتملت هذه السورة على مطالب أربعة، هي المقصد الأعظم من القرآن[1]»[2].

وذكر الكرماني في سورة ص: بدأها بالذكر وختمها بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾. وفي سورة (ن) بدأها بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ وختمها بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.

وكذلك مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها، حتى إنّ منها ما يظهر تعلقها به لفظاً، كما في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

وقال الكواشي في تفسير المائدة: لّما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾. وقال غيره إذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنّه مناسب لختام المائدة من فضل القضاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وكذلك افتتاح سورة فاطر بالحمد، فإنّه مناسب لختام ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وأيضاً افتتاح سورة الحديد بالتسبيح، فإنّه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به.

---

(١) مفاتيح الغيب: ١/٦٥.

(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: ١/٤٩-٥٠؛ والموسوعة القرآنية: ١/١٥.

حكى الخطابي أنّ الصحابة لّما اجتمعوا على جمع القرآن وضعوا سورة (القدر) عِقبَ (العلق)، استدلوا بذلك على إنّ المراد بذلك الكناية في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الإشارة إلى قوله: اقرأ.

قال القاضي أبو بكر العربي: وهذا بديع جدّاً[1].

والدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة، وكالوصايا التي ختمتها سورة آل عمران، والفرائض التي ختمت بها سورة النساء، وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر كلّ أامرئٍ حي، والآخر ما نزل من الأحكام وكالتعظيم الذي ختمت به المادة وكالوعد والوعيد الذي ختمت به الأنعام. وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف. وكالحض على الجهاد الذي ختمت به الأنفال. ووصف الرسول ومدحه الذي ختمت به براءة وتسليته عليه السلام التي ختم بها سورة يونس. ومثلها خاتمة هود[2].

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدأت بأحوال القيامة، وختمت بقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

وانظر إلى براعة آخر آية نزلت، وهي قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وما فيه من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة.

وكذلك آخر سورة نزلت، وهي سورة النصر، فيها الإشعار بالوفاة، كما قال ابن عباس، كأنّه قال له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فذلك

---

(١) ينظر: معترك الأقران: ١/٥٢-٥٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ١/٥٨-٥٩.

علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾، ووافقه عمر على ذلك. فإن قلت: ما الحكمة في ختم هذا القرآن بالمعوّذتين؟

والجواب ما قاله ابن جرير في تفسيره عن شيخه ابن الزبير: لثلاثة أمور:

الأول: لمّا كان القرآن العظيم من أعظم نعم الله على عباده، والنعم مظنّة الحسد، فختم بها يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

والثاني: إنّما ختم بهما؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال فيهما: أنزلت عليّ آيات لم أرَ مثلهن قط، كما قال في فاتحة الكتاب: لم يترل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان، فافتتح القرآن بسورة لم يترل مثلها: واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام[1].

ونجد في سورة (سبأ) تضمنت ما منح ﷻ (داود) عليه السلام من تسخير الجبال والطير والريح فناسب ما به. افتتحت السورة من إنّ الكل ملكه وخلقه، فهو المسخّر لها والتصرف في الكل بما شاء، فقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ وهذا أوضح التناسب[2].

ونجد مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها في سورة الأعراف: قصت السورة في أوائلها كيف نجح الشيطان في إخراج آدم من الجنة وفي أثناء السورة تناولت عبر قصص أنبياء الله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، مع أقوامهم وخبر ما يعصم المرء تشبّثه بذكر الله تعالى، وخير الذكر هو القرآن الكريم الذي افتتحت السورة بتقرير حقيقته: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ

---

(١) ينظر: معترك الأقران: ١/٦٠.

(٢) معترك الأقران: ١/٦٤.

لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ واختتمت بتعظيم شأنه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾. وبهذا الذكر ينتظم المؤمن العابد مع الكون كلّه في أنشودة الحمد لله وتعظيمه: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ [1] ﴾[2].

أرأيت إلى هذه المناسبة التامة، والرابطة الوثيقة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وما بينهما؟ «ألا تبدوا لك السورة -على طولها- وكأنها بالفعل وحدة واحدة؟»[3].

وقال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله أنّ أصحاب الأعراف هم الدعاة والشهداء الذين بلغوا رسالات الأنبياء وقادوا الأمم إلى الخير[4] حيث قال رحمه الله: «... واختصت هذه الصورة بذكر أصحاب الأعراف، ومنهم أخذ اسمها والشائع بين المفسرين أنّ هؤلاء قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فانتظروا حتى يُبت في أمرهم. وأرى أنّ أصحاب الأعراف هم الدعاة والشهداء الذين بلغوا رسالات الأنبياء وقادوا الأمم إلى الخير، فإنّ الأعراف هي القمم الرفيعة، ومنها سمي عُرف الديك عُرفاً.

وحديث القرآن يرجح هذا الفهم، فهم يتكلمون بثقة، ويوبخون المذنبين على ما اقترفوا، ويستعينون بالله، ومن المستبعد أن يكون ذلك موقف قوم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠٦.

(٢) أصل هذا الوجه من الربط بين الخاتمة والبداية مستفاد من الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- في: نحو تفسير موضوعي: ١٢٥.

(٣) ينظر: مصابيح الدرر: ١/١٢٧-١٢٨.

(٤) ذكر هذا القول -ضمن أقوال أخرى- الآلوسي: ٨/١٢٤.

استوت حسناتهم وسيئاتهم... لا يدرون أين يذهب بهم!»[1]. وقد أشار البقاعي أيضاً بقوله: «... ومقصودها إنذار من أعرض عمّا دعا إليه الكتاب في السورة الماضية، وأدلُّ ما فيها على هذا المقصد أمر الأعراف، فإنّ اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيها، وما أعد لأهلها، الداعي -أي هذا الإشراف والإطلاع- إلى امتثال كلّ خير واجتناب كلّ شر، والاتعاظ بكل مرفق»[2].

وعلى هذا تتضح المناسبة التامة بين السورة وشخصيتها، ومقاصدها الكلية. فتكون الإشارة إلى (أهل الأعراف) ومكانتهم في الآخرة، إلماحاً إلى (أهل الشهادة) ووظيفتهم في الدنيا... وهم الأمة الخاتمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]»[4].

ونجد في سورة المائدة: قال الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين: ووجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنّه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوعنا في الضلال (آخر آية من النساء)، ثم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإنّ فيها أحكاماً لم تكن في غيرها. قال البغوي: عن ميسرة قال: إنّ الله تعالى أنزل في

---

(١) نحو تفسير موضوعي: ١١١، ١١٢.

(٢) مصاعد النظر: ١٣٠/٢؛ وكذلك: نظم الدرر: ٣٤٧/٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) ينظر: مصابيح الدرر: ١٢٩/١-١٣٠.

هذه السورة ثمانية عشر حكماً لم تنزل في غيرها من القرآن....

أمّا سورة الأنعام فقد ختمت السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ فناسب أن يبين سبب تلك الملكية ومنشأها، فافتح هنا بجملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ فسبب ملكية الله للسماوات والأرض أنّه خالقهما وما فيهما، وتلك ملكية حقيقته[1].

وقال بعض العلماء: افتتاح الأنعام بالحمد مناسب لختم المائدة بفصل القضاء، كما قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

أمّا في سورة الأعراف: فقد نوّه الله في أواخر السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:... إلى أنّ توعد المكذبين به والمعرضين عنه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾؛ فافتتح هذه السورة بنهي نبيّه أن يكون في صدره ضيق منه، بسبب تكذيب قومه به، وصدوفهم عنه: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾..»[3].

وبهذا ظهر ارتباط السور الثلاث، والتحام معانيها[4].

---

(١) ينظر: مصابيح الدرر: ١/١٣٣-١٣٤، وينظر: حاشية الصاوي على الجلالين: ١/٢٠٨، وينظر: تفسير البغوي: ٢/١١٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٣) ينظر: جواهر البيان: ٣/٢٩.

(٤) ينظر: مصابيح الدرر: ١/١٣٣-١٣٤.

ونجد إنّ الآية الكريمة ختمت بالقدرة من بعد قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ ولم تختم بالرحمة، ولا بالعقوبة؟ والسبب في ذلك راجع إلى: أنّ المحاسبة تكون بعد البعث؛ والبعث يدل على القدرة؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْۦِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. ووجه آخر يقول: لو ختمت الآية بما يقتضي الرحمة وفيها التعذيب لم يكن هناك تناسب؛ ولو ختمت بما يقتضي التعذيب وفيها مغفرة لم يكن هناك تناسب؛ والقدرة تناسب الأمرين: تناسب المغفرة، وتناسب التعذيب؛ لأنّ المغفرة، والتعذيب كلّ لا يكون إلاّ بقدرة الله ﷻ[3].

ونجد هنالك بعض أوجه المناسبة بين سورة الإسراء ومجيئها بعد سورة النحل فأوقع هنا بعض المناسبات بين هاتين السورتين وأوجزها بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[4] إنّه تعالى خلق هذا الإنسان وقومه في أحسن تقويم فلمّا استوى قوامه أصبح آمن وهو يجادل خالقه. وفي السورة التي بعدها بيّن الله تعالى: هذا الخصام بالإعراض والنأي بالجانب عمّن أنعم عليه بوجوده وخلقه فقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٣) ينظر: تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة: ٣/٤٤١.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤.

يَئُوسًا﴾[1] فهناك أوضح ﷻ خصامه ربّه وهنا إعراضه.

٢- وكذا في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]. وفي السورة التي تليها يسأل الكفار وهو سؤال كفر وجحود لقدرته تعالى فيقولون: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[3] فالله تعالى ردّ عليهم أيها الجاهلون أليس الذي خلق السماوات والأرض بكل ما فيها، ألا يقدر على إعادتكم كيفما صرتم، بلى إنّه تعالى قادر على كلّ شيء.

٣- لقد ذكر الله تعالى عظم النعم التي أنعم بها على الخليقة فقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] وغيرها من الفضائل، فأعقب في السورة التي بعدها مبيّناً أنّه مثلما مَنّ على عباده بتسخير الدواب وغيرها، فإنّه مَنّ على أنبياءه بداية عظيمة ألا وهي البراق، التي ركبها سيدنا الرسول الكريم محمد ﷺ.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣.

(٣) سورة الإسراء، من الآية: ٥١.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥-٨.

٤- حذّر المولى تعالى المتقوّلين أن لا يقولوا على الله إلاّ الحق، أن لا يحللوا ما حرّم الله وأن لا يحرموا ما أحل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾[1]. ثم بيّن بالسورة التي أعقبتها أنكم مهما قلتم ووصفتم هذا القرآن فإنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقال ﷻ: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2].

٥- لا تجد سورتين متتاليتين في القرآن فيهما سجدة إلاّ هاتين السورتين، ففي النحل الآية: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[3]. وفي الإسراء: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾[4]»[5].

وقد وجدنا بعضاً من أوجه الترابط بين هاتين السورتين الكريمتين، هي:

١- ففي سورة الإسراء ذكر الله تعالى في بداية السورة ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾[6] والعبودية هي أسمى المراتب لله تعالى، وفي سورة الكهف رفع الله شأن

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٩-٥٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.

(٥) ينظر: مناسبة الإسراء بين سورتي النحل والكهف: ١٨-١٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣.

هذه العبودية بإنزال الكتاب الكريم على عبده بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[1].

٢- إنّ القرآن المترل على رسل الله هو سر هداية الناس أجمعين كإنزال التوراة على سيدنا موسى عليه السلام بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾[2]. وفي الكهف يبقى القرآن سرمداً هو الهادي بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾[3].

٣- ويؤكد تعالى على الهداية مرة أخرى بقوله: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾[4] فمن اهتدى للصراط المستقيم فلا يخاف بخساً ولا هضماً، وفي السورة الأخرى قال تعالى: ﴿...مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾[5]. فقد أكد عز وجل في هذه الآية أنّه من اختار طريق الهداية فتح له أبوابها ومن أراد طريق الغواية فلن ييسر الله تعالى له موصلاً يوصله إلى سبيل الخير أبداً.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢.

(٣) سورة الاسراء ، الآية: ٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

(٥) سورة الكهف، الآية: ١٧.

٤- ولقد نهى الله الإنسان عن كلّ ما يعكّر إيمان العبد أو يذهب بالإنسان إلى جهنم، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ ﴾ ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[1].

٥- وفي سورة الإسراء نهى الله تعالى الآباء عن قتل أولادهم فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[2]. وفي سورة الكهف بيّن ﷻ علة عدم قتل الأولاد؛ لأنّهم زهرة الحياة فقال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[3].

٦- ذكر الله تعالى السعي الذي يذهب بصاحبه إلى رضوان الله في سورة الإسراء فقال: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[4]. وأوضح الله ﷻ طريق ذلك السعي وهو العمل الصالح الموصل إلى دار الله تعالى الآخرة فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣١-٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾[1]»[2].

وسورة التكاثر واقعة موقع العلّة لخاتمة ما قبلها كأنّه لّما قال هناك فأمه هاوية قيل: لم ذلك فقال: لأنكم ألهاكم التكاثر فاشتغلتم بدنياكم وملأتم موازينكم بالحطام فخفت موازينكم بالآثام؛ ولهذا عقبها سورة العصر المشتملة على إنّ الإنسان في خسر بيان لخسارة تجارة الدنيا وربح تجارة الآخرة، ولهذا عقبّها بسورة الهمزة المتوعد فيها من جمع ما لا وعدده بحسب أن ماله أخلده فانظر لتلاحم هذه السور الأربع وحسن اتساقها.

أمّا سورة قريش فهي شديدة الاتصال بما قبلها لتعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في آخر[3].

وفي سورة الكافرون أقول وجه اتصالها بما قبلها أنّه تعالى لّما قال: فصلّ لربّك أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلاّ ربه ولا يعبد ما يعبدون وبالغ في ذلك فكرر وانفصل منهم على إنّ لهم دينهم وله دينه.

وفي سورة النصر فإنّ وجه اتصالها بما قبلها أنّه قال في آخر ما قبلها: ولي دين فكان فيه إشعار بأنه خلص له دينه وسلم من شوائب الكفار والمخالفين فعقب ببيان وقت ذلك وهو مجيء الفتح والنصر فإنّ الناس حين دخلوا في دين الله أفواجاً فقد تم الأمر وذهب الكفر وخلص دين الإسلام ممن كان يناوئه؛ ولذلك كانت السورة إشارة إلى وفاته ﷺ[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

(٢) ينظر: مناسبة الإسراء بين سورتي النحل والكهف: ٢٦-٢٧.

(٣) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: ١/١٥٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ١/١٥٩.

وافتتحت البقرة بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ فإنّه إشارة إلى الصراط المستقيم في قوله في الفاتحة: اهدنا الصراط المستقيم فإنّهم لمّا سألوا الله الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه[1].

وقال الكرماني: أوائل هذه السور، مناسبة لأواخر سورة الفاتحة؛ لأنّ الله تعالى لمّا ذكر أنّ الحامدين طلبوا الهدى قال: قد أعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب هدىً لكم فاتّبعوه وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب[2].

قال الخطيب: «جاء في الآيات التي ختمت بها سورة (فاطر) سابقة قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾ ثم جاءت الآيات الثلاث التي تلت هذه الآية والتي ختمت بها السورة تعقيباً على تلك الآية، وبياناً لموقف المشركين من هذا القسم الذي أقسموه... وقد بدأت السورة (يس) بالقسم بالقرآن الكريم، الذي جاءهم النبي الكريم به، ثم وقوع هذا القسم على الإخبار بأنّ محمداً رسول الله، وأنّه على صراط مستقيم، وأنّ تكذيب المشركين له، ورفضهم لدعوته، لم يكن إلاّ عن ضلال وعمى، وإلاّ عن استكبار وحسد... لقد كانوا يتمنّون أن يبعث الله فيهم رسولاً، وأن يأتيهم بكتاب، مثل كتب أهل الكتاب، وهاهو ذا الرسول، والكتاب... فماذا هم فاعلون؟ ستكشف الأيام عن جواب هذا السؤال...»[3].

---

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن: ٧٧/١.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٧٨/١.

(٣) التفسير القرآني للقرآن: ٩٠٤/١١.

ونجد في سورة (يس) حيث تظهر صلة هذه السورة بما قبلها من وجوه ثلاثة هي:

١- بعد أن ذكر تعالى في سورة فاطر قوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ وقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ والمراد به محمد ﷺ، وقد أعرضوا عنه وكذبوه، افتتح هذه السورة بالقسم على صحة رسالته، وأنّه على صراط مستقيم، وأنّه أرسل لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم.

٢- هناك تشابه بين السورتين في إيراد بعض أدلة القدرة الإلهية الكونية[١]، فقال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقال في سورة يس: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾.

٣- وقال تعالى في فاطر: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾[٢].

وقد ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالقرآن العظيم على صحة الوحي، وصدق رسالة النبي محمد ﷺ، ثم تحدّثت عن كفار قريش، الذين تمادوا في الضلال، وكذبوا الرسول الكريم، فحق عليهم عذاب الله وانتقامه[٣].

ثم تحدثت عن دلائل القدرة والوحدانية في هذا الكون، وأيضاً تحدثت عن القيامة وأهوالها، وعن نفخة البعث والنشور، وعن أهل الجنة والنار، التفريق بين المؤمنين والمجرمين، ثم ختمت السورة بالحديث عن الموضوع الأساسي، وهو موضوع (البعث والجزاء) وإقامة الأدلة والبراهين على

---

(١) ينظر: الخلاصة في تفسير سورة يس: ١/٣-٤.

(٢) التفسير المنير: ٢٢/٢٨٧.

(٣) ينظر: الخلاصة في تفسير سورة يس: ١/٥.

حدوثه، وعلى صدقه[1].

وقال دروزة: «في السورة توكيد لرسالة النبي ﷺ وصدقها وتنويه بالقرآن. وتقريع للكفار وتنديد بعقائدهم وشدة غفلتهم وعنادهم. وفيها قصة من القصص المسيحية كما فيها تنويه بنعم الله وبعض مشاهد الكون، وإنذار وتبشير بيوم القيامة... وفصول السورة منسجمة ومترابطة تسوغ القول إنّها نزلت جملة واحدة أو متلاحقة»[2].

كانت الآيات التي ختمت بها سورة (التحريم)، معرضاً للصراع بين الخير والشر، والحرب بين الإيمان، والكفر. ثم كان ممّا بدأت به سورة (الملك) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ليقرر أنّ نتيجة هذا الصراع بين المحقّين والمبطلين، والمحسنين والمسيئين. إنّما تظهر على حقيقتها كاملة يوم القيامة، ولهذا كان ممّا قضت به حكمة الله تعالى أن يكون الموت، ثم تكون حياة بعد هذا الموت، ليحاسب الناس على ما عملوا في الدنيا، من خير أو شر... فكان من المناسب أن تلتقي هذه الحقيقة التي قررتها سورة (الملك) مع تلك الحقيقة التي ختمت بها سورة (التحريم) وبذلك يتأكد المراد منهما معاً[3].

وفي التفسير المنير: «وجه تعلق هذه السورة بما قبلها من وجهين:

١- وجه عام:

وهو أنّ هذه السورة تؤكد مضمون السورة السابقة في جملتها، فالسورة

---

(١) صفوة التفاسير: ٨٣/٣.

(٢) التفسير الحديث: ٢٠/٣.

(٣) التفسير القرآني للقرآن: ١٠٤٣/١٥.

المتقدمة تبين مدى قدرة الله وهيمنته وتأييده للرسول محمد ﷺ في مواجهة احتمال ظهور تظاهر امرأتين ضعيفتين من نسائه عليه.

٢- وجه خاص:

وهو أنّه تعالى ذكر في أواخر (التحريم) مثالين فريدين متمثلين بامرأتي نوح ولوط للكافرين، وبامرأة فرعون المؤمنة، ومريم العذراء للمؤمنين، وهذه السورة تدل على إحاطة علم الله وتدبيره وإظهاره في خلقه ما يشاء من العجائب والغرائب...[١].

وقال الآلوسي: «وجه مناسبتها لما قبلها أنّه تعالى لمّا ضرب مثلاً للكفار بتلك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وإن كانتا تحت نبيّين عظيمين ومثلاً للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتوم لهما بالسعادة وإنّ أكثر قومهما كفار، افتتح هذه بما يدل على إحاطته ﷻ وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه. وقيل: إنّ أول هذه متصل بقوله تعالى آخر الطلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[٢] لما فيه من مزيد البسط لما يتعلق بذلك وفصل بسورة التحريم؛ لأنّها كالقطعة من سورة الطلاق والتتمة لها»[٣].

وقال الصابوني: «... ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول، فذكرت أنّ الله ﷻ بيده الملك والسلطان، وهو المهيمن على الأكوان، الذي تخضع لعظمته الرقاب، وتعنوا له الجباه، وهو المتصرف في الكائنات بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

---

(١) التفسير المنير: ٢٩/٥؛ وينظر: تفسير المراغي: ٢٩/٣.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٣) روح المعاني: ١٥/٣.

الآيات ثم تحدثت عن خلق السماوات السبع، ثم تناولت الحديث عن المجرمين بشيء من الإسهاب، وهم يرون جهنم تتلظى، وتكاد تتقطع من شدة الغضب. ثم ختمت السورة الكريمة بالإنذار والتحذير للمكذبين بدعوة الرسول الكريم من حلول العذاب بهم في الوقت الذي كانوا يتمنون فيه موت الرسول الكريم، وهلاك المؤمنين ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾؟، ويا له من وعيد شديد ترتعد له الفرائض!![1].

وفي التفسير المنير:.... وقد بدأت السورة بالقسم الإلهي بالقرآن الحكيم على إنّ محمداً رسول حقّاً من رب العالمين لينذر قومه العرب وغيرهم من الأمم، فانقسم الناس من رسالته فريقين: فريق معاند لا أمل في إيمانه، وفريق يرجى له الخير والهدى، وأعمال كلّ من الفريقين محفوظة، وآثارهم مدونة معلومة في العلم الأزلي القديم. ثم ضرب المثل لهم بأهل القرية كذبوا رسلهم واحداً بعد الآخر، وكذبوا الناصح لهم وقتلوه، فدخل الجنة. ثم انتقل البيان إلى إثبات البعث والقدرة والوحدانية بإحياء الأرض الميتة، وبيان قدرة الله في الكون من تعاقب الليل والنهار...

ثم ختمت السورة بالرد القاطع على منكري البعث بما يشاهدونه من ابتداء الخلق، وتدرج الإنسان في أطوار النمو، وإثبات الشجر الأخضر ثم جعله يابساً، وخلق السماوات والأرض، وإعلان القرار النهائي الحتمي على كلّ ذلك، وهو قدرة الله الباهرة على إيجاد الأشياء بأسرع ممّا يتصور الإنسان، وإنّه الخالق المالك لكلّ شيء.

---

(١) صفوة التفاسير: ٣/٣٧٧.

والخلاصة: أنّ السورة كلها إيقاظ شديد للمشاعر والوجدان، وتحريك قوي للأحاسيس، وفتح نفّاذ القلوب، لكي تبادر إلى الإقرار بالخالق وتوحيده، والإيمان بالبعث والجزاء[1]»[2].

مناسبة سورة النبأ لما قبلها من سورة المرسلات من ثلاثة وجوه هي:

١- تشابه السورتين في الكلام عن البعث وإثباته بالدليل، وبيان قدرة الله عليه، وتوبيخ الكفار المكذبين به، ففي المرسلات: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾... الأرض كفاتاً، وفي هذه قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا... وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾... الآيات (٦-١٦).

٢- اشتراك السورتين في وصف الجنة والنار، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين.

٣- فصّلت هذه السورة ما أجمل في السورة المتقدمة، فقال تعالى في المرسلات: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ وقال تعالى في هذه السورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ إلى آخر السورة[3].

قال الخطيب: «مناسبتها لما قبلها كانت سورة (المرسلات) قبل هذه السورة، حديثاً متصلاً عن المشركين، وكانت نهاية هذا الحديث معهم أن ألقى بهم في جهنم، وأخذ كلّ منهم مكانه فيها... ثم أعيدوا إلى مكانهم في هذه الحياة الدنيا، حيث يأكلون ويتمتعون، كما تأكل الأنعام، دون أن يكون لهم من تلك الرحلة المشؤومة بهم إلى جهنم، ما يغير بهم من ضلال وعناد، ما زالوا على موقفهم من آيات الله، وما زالوا في تكذيب لرسول الله، وفي

---

(١) ينظر: التفسير المنير: ٢٢/٢٨٨.

(٢) ينظر: المهذب في تفسير سورة يس: ١/٦٨-٦٩.

(٣) ينظر: المهذب في تفسير عم: ١٦٨.

عجب واستنكار، حتى ليسأل الوجود كلّه: إذن فبأي حديث بعد هذا الحديث يؤمن هؤلاء الضالون المكذبون؟ وتجيء سورة (النبأ) بعد هذا التساؤل الاستنكاري لنمسك بهم وهم في حديث عن هذا الحديث، وفي بلبلة واضطراب من أمره، وفي تنازع واختلاف فيه...»[1].

وقال المراغي: نزلت بعد سورة المعارج ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي ذكر في السورة السالفة أنّ الكافرين عذبوا به.

٢- إنّ في هذه وما قبلها تأنيباً وتقريعاً للمكذبين، فهناك قال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ وهنا قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾.

٣- إنّ في كلّ منهما وصف الجنة والنار وما ينعم به المتقون، ويعذب به المكذبون.

٤- إنّ في هذه تفصيل ما أجمل في تلك عن يوم الفصل، فهناك قال: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾[2] وهنا قال: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾... إلى آخر السورة[3].

وقال سيد قطب: وهي تفتح بسؤال موح مثير للاستهوال والاستعظام، وفي أمر عظيم لا خفاء فيه، ويغضب على هـــذا بتهديدهم يوم يعلمون حقيقته: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا

---

(١) التفسير القرآني للقرآن: ٢/٤١٥.

(٢) سورة المرسلات، الآية: ١٣.

(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٣/٣٠.

سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[1] ومن ثم يعدل السياق عن المعنى في الحديث عن هذا النبأ ويدعه لحينه، ويلفتهم إلى ما هو واقع بين أيديهم، ليدل على ما وراءه ويوحي بما سيتلوه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾[2]. ومن هذا الحشد من الحقائق الصور والإيقاعات يعود بهم إلى ذلك النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، والذي هددهم به يوم يعلمون! ليقول لهم ما هو؟ وكيف يكون: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[3]... ثم مشهد العذاب بكل قوته وعنفه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[4]. ومشهد النعيم كذلك وهو يتدفق تدفقاً: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾.

---

(١) سورة النبأ، الآية: ١-٤.

(٢) سورة النبأ، الآيات: ٦-١٦.

(٣) سورة النبأ، الآيات: ١٧-٢٠.

(٤) سورة النبأ، الآيات: ٢١-٣٠.

وتختم السورة بإيقاع جليل في حقيقته وفي المشهد الذي يعرض فيه، وبإنذار وتذكير قبل أن يجيء اليوم الذي يكون فيه هذا المشهد الجليل: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.. ذلك هو النبأ العظيم، الذي يتساءلون عنه، وذلك ما سيكون يوم يعلمون ذلك النبأ العظيم![1].

ومناسبة سورة النازعات لما قبلها من وجهين:

١- تشابه الموضوع: فكلتا السورتين تتحدثان عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين ومرجع المجرمين.

٢- تشابه المطلع والخاتمة: فإنّ مطلع السورتين في الحديث عن البعث والقيامة، الأولى تؤكد وجود البعث وما فيه من أهوال وحساب وجزاء، والثانية افتتحت بالقسم على وقوع القيامة لتحقيق ما في آخر عم. والأولى اختتمت بالإنذار بالعذاب القريب يوم القيامة، والثانية ختمت بالكلام عمّا في أولهما من إثبات الحشر والبعث، وتأكد حدوث القيامة، فكان ذلك كالدليل والبرهان على مجيء القيامة وأهوالها[2].

ابتدأت السورة بالقسم بالملائكة الأبرار، التي تترع أرواح المؤمنين بلطف ولين، وتترع أرواح المجرمين بشدة وغلظة لقوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾. ثم

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٤٣٢/٧.

(٢) ينظر: المهذب في تفسير جزء عم: ١١٤/١.

تحدّثت عن المشركين، المنكرين للبعث والنشور، فصورت حالتهم في ذلك اليوم الفضيع ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾.

ثم تناولت السورة (فرعون، الطاغية الجبار الذي ادعى الربوبية فقصمه الله، وأهلكه بالغرق هو وقومه) ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

ثم ختمت السورة ببيان وقت الساعة الذي استبعده المشركون وأنكروه، وكذبوا بحدوثه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۝٤٤ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[1].

وفي السورة توكيد ربّاني بتحقيق يوم البعث والحساب وما سوف يستولي على الكفار فيه من خوف وندم، وتذكير برسالة موسى إلى فرعون، وبمشاهد الكون وعظمة الله وبديع صنعه فيه، وتنديد بالكفار لشكهم في الآخرة وبيان إنذاري وتبشيري بمصير كلّ من المتقين والطاغين فيها.

ونظم السورة وترابط آياتها يسوغان القول إنّها نزلت دفعة واحدة[2].

وسورة (يس) مناسبتها لما قبلها: لهذه السورة تعلق بما قبلها وهي (النازعات)؛ لأنّه تعالى ذكر هناك أنّ النبي ﷺ منذر من يخشى الساعة، وهنا ذكر من ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله ﷺ يناجيهم في أمر

---

(١) صفوة التفاسير: ٣/٤٥٤.

(٢) التفسير الحديث: ٥/٤١٠.

الإسلام ويدعوهم إليه وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة. كما أنّ بينهما تشابهاً في موضوع الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وإثبات البعث بمخلوقات الله في الإنسان والكون، فهناك وصفت القيامة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾. وهنا وصفت بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ وهما من أسماء يوم القيامة. وهناك أثبت الله البعث بخلق السماء والأرض والجبال، وهنا أثبته بخلق الإنسان والنبات والطعام[1].

ابتدأت السورة الكريمة بذكر قصة الصحابي البصير (عبد الله بن أم مكتوم) الذي جاء إلى الرسول الكريم فطلب منه أن يعلّمه مما علّمه الله، والرسول الكريم مشغول مع جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام، فعبس الرسول الكريم في وجهه وأعرض عنه، فنزل القرآن بالعتاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾. ثم تحدّثت عن جحود الإنسان، وكفره الفاحش بربه مع كثرة نعم الله عليه ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾.

ثم تناولت دلائل القدرة في هذا الكون ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾.

وختمت السورة ببيان أهوال القيامة، وفرار الإنسان من أحبابه من شدة

---

(١) ينظر: المهذب في تفسير جزء عم: ١/١٦٦.

الهول والفزع، وبيّنت حال المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم العصيب ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[1].

قال الخطيب: كان ممّا ختمت به سورة (النازعات) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ وكان في ذلك ما يشير إلى المقام الذي يأخذه النبي من قومه، الذين لج بهم الضلال والعناد، وجعلوا همّهم المجادلة، ولقاء النبي بالأسئلة... إنّهم لم يؤمنوا بوقوع هذا اليوم، يوم القيامة، وسؤالهم عن موعد شيء لا يؤمنون به إنّما هو ضلال من ضلالهم.

وهؤلاء الضالون المعاندون لا يخشون الله، ولا يؤمنون باليوم الآخر، ولن يؤمنوا أبداً معها طال وقوفك معهم... وكلا ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[2].

وفي سورة التكوير نجد إنّ كلّ من السورتين سورة (عبس والتكوير) توضّح أهوال القيامة وشدائدها، ففي (عبس) قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. وفي سورة التكوير قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، فلما ذكر سبحانه الطامة والصاخة في خاتمتي السورتين المتقدمتين، أردفهما بذكر سورتين مشتملتين على أمارات القيامة وعلامات

(١) صفوة التفاسير: ٤٥٨/٣.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: ٤٤٣/٢.

يوم الجزاء[1].

قال الخطيب: «جاء في سورة (عبس) عرض ليوم القيامة، وللعذاب الشديد الذي يحيط بالكافرين، حتى ليفر الكافر من أخيه، وأمه وأبيه... وقد جاءت سورة (التكوير) بعدها، عارضة المشاهد التي تسبق هذا اليوم، لتخرج بالمشركين وراء دائرة العذاب قليلاً، ليلقوا نظرة على الحياة الدنيا، التي كانوا فيها والتي يودون الفرار إليها... فهل إذا أُتيحت لهم فرصة الفرار من هذا العذاب، وعادوا إلى الدنيا، أيصلحون ما أفسدوا من حياتهم؟ أيؤمنون بهذا اليوم، وما يلقى الكافرون فيه؟... هذا سؤال ستكشف الأيام عن الجواب الذي يعطيه هؤلاء المشركون عنه...»[2].

ابتدأت سورة التكوير ببيان القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل، يشمل الشمس والنجوم، والجبال... الخ، كما يشمل البشر ويهز الكون هذا عنيفاً، ولا يبقى شيء إلاّ قد تبدّل وتغيّر من هول ما يحدث في ذلك اليوم ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ الآيات. ثم تناولت (حقيقة الوحي) وصفة النبي الذي يتلقّاه والرسول الذي نزل لينقلهم من ظلمات الشرك إلى نور العلم ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾. وختمت السورة ببيان بطلان مزاعم المشركين، حول القرآن العظيم، وذكرت أنّه موعظة من الله تعالى لعباده ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ

(١) ينظر: المهذب في تفسير جزء عم: ٢٢٩/١.

(٢) التفسير القرآني للقرآن: ١٤٦٦/١٥.

﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وسورة الانفطار هي على شاكلة سابقتها (التكوير)... كلّ منهما حديث عن يوم القيامة وإرهاصاتها. فكان جمعهما في هذا السياق من جمع النظير إلى نظيره، ليتأكد ويتقرر في الأذهان[2].

ابتدأت السورة ببيان مشاهد الانقلاب الذي يحدث في الكون، من انفطار السماء وانتثار الكواكب، وغيرها، وما بعقب ذلك من الحساب والجزاء ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾. ثم تحدّثت عن جحود الإنسان وكفرانه لنعم ربه، وهو يتلقى فيوض النعمة منه جلّ وعلا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟ ووضحت أنّ الله تعالى وكلّ بكل إنسان ملائكة يسجلون عليه أعماله ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾. ثم ختمت السورة بتصوير ضخامة يوم القيامة وهوله، وتجرّد النفوس يومئذٍ من كلّ حول وقوة وتفرّد الله تعالى بالحكم والسلطان ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[3].

وتتعلّق سورة المطففين بما قبلها من وجوه أربعة:

---

(١) صفوة التفاسير: ٣/٤٦٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن: ١٥/١٤٧٨.

(٣) صفوة التفاسير: ٣/٤٦٥.

١- قال تعالى في آخر السورة المتقدمة واصفاً يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ وذلك يقتضي تهديداً عظيماً للعصاة، فلهذا أتبعه هنا بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ والمراد: الزجر عن التطفيف: والبخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية.

٢- في كلّ من السورتين توضيح أحوال يوم القيامة.

٣- ذكر الله تعالى في السورة السابقة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ وذكر هنا ما يكتبه الحافظون: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ يجعل في عليين، أو في سجين.

٤- ذكر الله تعالى تصنيف الناس إلى فريقين: أبرار وفجّار في كلّ من السورتين، وذكر مآل كلّ فريق، إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار. وقال أبو حيان: لّما ذكر الله حال السعداء الأشقياء ويوم الجزاء وعظيم شأن يومه، ذكر ما أعد لبعض العصاة، وذكرهم بأخس ما يقع بالمعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئاً في تثمير المال وتنميته[1]»[2].

في سورة الانشقاق قال الخطيب: «تعد هذه السورة، وما سبقها، وما يأتي بعدها، حديثاً متصلاً عن القيامة وأحداثها... فكلّ سورة منها معرض من معارض هذا اليوم المشهود... فإذا ذهبنا نلتمس مناسبة لترتيب هذه السور، كان ذلك أشبه بالتماس المناسبة بين ترتيب الآي في السورة الواحدة... والمناسبة هنا وهناك قائمة أبداً...»[3].

---

(١) البحر المحيط: ٤٣٩/٨؛ وينظر: التفسير القرآني للقرآن: ١٤٨٦/١٥.

(٢) ينظر: المهذب في تفسير جزء عم: ٣٠٥/١-٣٠٦.

(٣) التفسير القرآني للقرآن: ١٥٠٠/١٥.

وقال البقاعي: «مقصودها الدلالة على آخر المطففين من إنّ الأولياء ينعمون والأعداء يعذبون، لأنّهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على الملك الذي أوجدهم وربّاهم كما يعرض الملوك عبيدهم ويحكمون بينهم فينقسمون إلى أهل ثواب وأهل عقاب واسمها الانشقاق أول دليل على ذلك يتأمل الظرف وجوابه الدال على الناقد البصير وحسابه، بسم الله ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ الرحمن (الذي كملت نعمته فشملت الخاص والعام) الرحيم (الذي أتمها بعد العموم على أوليائه فأسعدهم بإتمام الإنعام)[1]»[2].

وتتعلق سورة البروج بما قبلها من ثلاثة وجوه هي:

١- التشابه في الافتتاح بذكر السماء.

٢- اشتمال السورتين على وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين، والتنويه بعظمة القرآن.

٣- تضمنت السورة السابقة أنّ الله عليم بما يجمع المشركون في صدورهم للنبي ﷺ والمؤمنين معه من أنواع الأذى المادي، كالضرب والقتل والتعذيب في حر الشمس، والأذى المعنوي، من حقد وحسد، وعداوة، وذكر في هذه السورة أنّ هذا شأن من تقدمهم من الأمم الكافرة الفاجرة. وفي هذا عظة للمشركين وتثبيت للمؤمنين[3].

حيث ابتدأت السورة بالقسم بالسماء ذات النجوم الهائلة، ومداراتها الضخمة، وباليوم العظيم المشهود، وبالرسل والخلائق، على هلاك المجرمين،

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ٣٦٧/٨.

(٢) ينظر: المهذب: ٣٦٣/١.

(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٥٤٤٢/١.

الذين طرحوا المؤمنين في النار ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ الآيات. ثم تلاها الوعيد والإنذار، لأولئك الفجار على فعلتهم القبيحة الشنيعة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

ثم تحدّثت عن قدرة الله على الانتقام من أعدائه الكفرة، الذين فتنوا عباده وأولياءه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾.

وختمت السورة الكريمة بقصة الطاغية الجبار (فرعون) وما أصابه وقومه من الهلاك والدمار بسبب البغي والطغيان ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ إلى نهاية السورة الكريمة[1].

أمّا سورة الطارق فإنّها مرتبطة بما قبلها من ناحيتين:

١- ابتداء السورتين بالحلف بالسماء كسورتي (الانشقاق) و(الانفطار).

٢- التشابه في الكلام عن البعث والمعاد وعن صفة القرآن للردّ على المشركين به وبالبعث ففي سورة البروج: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾، وفي هذه السورة ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾، وفي السورة السابقة: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ وفي هذه السورة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.

---

(١) صفوة التفاسير: ٣/٤٧٤.

ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة، التي تطّلع ليلاً لتضيء للناس سبلهم، ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، فأقسم تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾، ثم ساقت الأدلة والبراهين، على قدرة رب العالمين، على إعادة الإنسان ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ الآيات ثم بعد ذلك ختمت بالحديث عن القرآن الكريم، معجزة محمدﷺ وحجّته البالغة إلى الناس، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم لتكذيبهم بالقرآن ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾[1].

وفي السورة توكيد للبعث وتدليل عليه بقدرة الله على خلق الإنسان للمرة الأولى. وإنذار للسامعين بأنّ أعمالهم محصاة عليهم. ووعيد للكفار وتطمين للنبي عليه السلام وأسلوبها عامّ مطلق[2].

وتظهر صلة سورة الأعلى بما قبلها في إنّ سورة الطارق ذكرت خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ وبدء خلق النبات في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾. وهذه السورة تحدّثت ممّا هو أعم وأشمل من خلق الإنسان وغيره: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ وخلق النبات في قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾. وختمت سورة (الطارق) قبل هذه السورة

---

(١) صفوة التفاسير: ٣/٤٧٧.

(٢) التفسير الحديث: ٢/٢٦٧.

بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ وفي هذا كما عرفناه تهديد للمشركين، وتطمين لقلب النبي، وحماية له من هذا الكيد، فناسب مجيء سورة الأعلى مبتدئة بقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ففي هذا الاستفتاح دعوة إلى تمجيد الله وتعظيمه، والتسبيح بحمده[1].

وتتعلق سورة الفجر بما قبلها من وجه ثلاثة هي:

١- إنّ القسم الصادر في أولها كالدليل على صحة ما ختمت به السورة التي قبلها من قوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

٢- تضمنت السورة السابقة قسمة الناس إلى فريقين: أشقياء وسعداء، أصحاب الوجوه الخاشعة، والناعمة.

٣- إنّ جملة ألم تر كيف فعل ربك بعاد... في هذه السورة مشابهة لجملة: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت في السورة المتقدمة[2].

أمّا سورة البلد فإنّها ترتبط بما قبلها من وجهين هما:

١- ذم الله تعالى في السورة السابقة (الفجر) من أحب المال، وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، وذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة (اعتقاق العبيد) والإطعام في يوم المسغبة (المجاعة).

٢- ختم الله تعالى السورة المتقدمة ببيان حال النفس المطمئنة في الآخرة، ذكر هنا طريق الاطمئنان، وحذّر من ضده وهو الكفر بآيات الله ومخالفة أوامر الرحمن[3].

---

(١) التفسير القرآن للقرآن: ١٥٢٧/١٦.

(٢) ينظر: المهذب في تفسير جزء عم: ٥٣٨/١.

(٣) تفسير المراغي: ١٥٥/٣٠.

ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام، الذي هو سكن النبي ﷺ، تعظيماً لشأنه عند ربه، ثم تحدّثت عن بعض كفار مكة، الذين اغتروا بقولهم، وكذبوا رسول الله وأنفقوا أموالهم في المفاخرة. ظنًّا منهم أنّ إنفاق الأموال في حرب الإسلام يدفع عنهم عذاب الله ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾. ثم تناولت أهوال القيامة وشدائدها، وما يكون بين يدي الإنسان في الآخرة ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾.

وختمت السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكفار، في ذلك اليوم العصيب ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ الآيات إلى نهاية السورة الكريمة[1].

وفي السورة تنديد بالذين يقفون موقف المشاقّة ويتباهون بأموالهم وتقرير لقابلية الإنسان للاختيار بين الخير والشر، وحثّ على الإيمان والتواصي بالصبر والمرحمة. وفي مقدمتها عتق الرقيق. وأسلوبها عام إجمالاً[2].

وتضم هذه السورة الصغيرة جناحيها على حشد من الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني ذات الإيحاءات الدافعة واللمسات الموحية. حشد يصعب أن يجتمع في هذا الحيز الصغير في غير القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد في التوقيع على أوتار القلب البشري بمثل هذه اللمسات السريعة العميقة[3].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٩/٣.

(٢) التفسير الحديث: ٢٥٣/٢.

(٣) في ظلال القرآن: ٣٩٠٨/٦.